

مهارة الحفظ في تراثنا

بقلم

أ.د. رياض بن حسن الخوام

جامعة أم القرى

مقدمة

الحمد لله على كثرة آلائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه، مُحَمَّدٍ ﷺ، وعلى آله و أصحابه، وأتباعه و أوفياءه، وبعد :

فلعلي لا أكون بعيداً عن الحقيقة ولا مجانباً للصواب، إن زعمت أن مهارة الحفظ هي من أرقى المهارات التي تجب العناية بها، لأنها تاج البراعات، فهي في سلم درجات الوصول إلى العلم تأتي في قممها، قال ابن المبارك:

"أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العلم ثم الحفظ ثم النشر"^١ وإنما جاءت مرتبتها في القمة، لأن العلم هو ما خزنته الصدور لا ما خزنته الدفاتر^٢

وقد أشار إلى هذا الشاعر مُحَمَّدُ بن بشير الخارجي بقوله:

ليس بعلم ما حوى القمطرُ *** ما العلمُ إلا ما حواه الصدرُ

لقد أدرك أسلافنا رحمهم الله تعالى قيمة هذه المهارة، (لأنها العلم كله)، فأرهبوا لتحصيلها أجسامهم، وقضوا لتركيتها أعمارهم، وأشغلوا لتثبيتها أوقاتهم، ووقفهم الله في مسعاهم، حتى صارت علوم الحضارة الإسلامية كلها في صدورهم وعقولهم، وها هي آثارها الآن حاضرة متجسدة فيما خلفوه لنا من تأليف وتصانيف، يعجز العادُّ عن عدّها، وتقتصر فيما أحسب حواسب الحاسبين والحاسبات عن حصرها، رحمهم الله تعالى.

- فما حقيقة هذه المهارة ؟

- وما وسائل هذه البراعة ؟

- وما مظاهرها عند حذاقها وصناعها ؟

- وكيف سار القوم في حفظها وتثبيتها ؟

- وهل من سبيل إلى الرجوع إليها ؟

هذا ما أردت بيانه في هذا البحث الموجز

وبالله التوفيق

^١ - الديباج المذهب ٢/٤٠٨.

^٢ - المستطرف ١/٤٣.

الحفظ لغة واصطلاحاً: أجمعت المعاجم اللغوية على أن (الحفظ) يقابل الضياع، فهو مصدر حَفِظَ، يَحْفَظُ، حِفْظاً، كَعَلِمَ..

يقال: حَفِظَ المال، أي رعاه وحرسه ومنعه من الضياع والتلف وصانه عن الابتذال.^٣

ويقال: حفظ القرآن إذا وعاهُ على ظهر قلب.^٤

ويقال: تحَفَّظْتُ الكتاب أي استظهرته شيئاً فشيئاً، وحَفَّظْتَهُ الكتاب، أي حملته على حفظه، واستحفظته أي سألته أن يحفظه.^٥

ويقال: أيضاً رجلٌ حافظٌ لدينه وأمانته ويمينه وحفيظ، والجمع حَفَظَةٌ وحُفَّازٌ مثل كافر في جمعيه.^٦ والحفظة: هم الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.^٧

والحِفْظُ: التيقظ وقلة الغفلة، يقال: قد أحفظته فاحتفظ، أي أغضبته فغضب، والحفيظة: الغضب والحَمِيَّة.^٨

والمستفاد مما قدمته المعاجم عن هذه المادة واشتقاقاتها ما يأتي:

1- أن دلالة هذه المعاني كلها تعود إلى أن الحفظ هو عدم الضياع أو التلف أو الابتذال، والأمر ظاهرٌ في كل ما ذكرناه إلا الدلالة على الغضب، فبالأمل نلاحظ أن هناك صلةً بين الضياع والابتذال والغضب، فالغاضب إنما يغضب ليحافظ على حقيقته ونفسه من الضياع والابتذال .

2- أن هذا الحفظ قائم على إرادة الاستمرار والديمومة كما هو الحال حين أطلقوا على الملائكة الكاتبين أنهم حفظة لتسجيلهم أعمال الناس إلى يوم القيامة.

3- أن دلالة الحفظ ظهرت واضحة في البيئة الدينية، فالرجل الحافظ هو الحافظ لدينه وأمانته ويمينه، وحفظ القرآن إذا وعاه عن ظهر قلب.

^٣ - انظر الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير، حفظ.

^٤ - المصباح المنير، حَفِظَ.

^٥ - الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير، حفظ.

^٦ - المصباح المنير، حفظ.

^٧ - الصحاح، حفظ .

^٨ - الصحاح، حفظ.

4 - أن العربية نشطت في توليد اشتقاقات من هذه المادة، تصور الواقع الذي اتضحت منه ظاهرة الحفظ، فهناك عبارات تتعلق ابتداءً بحفظ النصوص، نحو: (تحفظت الكتاب) أي: استظهرته شيئاً فشيئاً، وما أحسن قولهم: (شيئاً فشيئاً) لما فيها من دلالة تشير إلى وسيلة من وسائل الحفظ، فبالترديد والتكرار تُكتسب هذه المهارة وتظهر هذه البراعة.

5 - أن الحفظ عندهم هو الحفظ مع الفهم، بدليل قول الفيومي: "حَفِظَ الْقُرْآنَ إِذَا وَعَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ قَلْبِهِ" أي: فهمه ووقف على معانيه.

- أما في الاصطلاح: فلم نظفر على مصطلح محدد للحفظ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب إن قلنا: إن الحفظ المراد هنا هو حفظ نصٍّ ما عن ظهر قلب ووعيه لاستظهاره دائماً لاكتمال العلم فيه، ولعل هذا التعريف ينطبق على تفسير هذه المهارة التي برزت في سماء ثقافتنا العربية الإسلامية.

وأحسب أنه لا بد أيضاً لفهم الظاهرة من أن نعرض لمعنى النسيان الذي هو ضد الحفظ، فهو مصدر الفعل نسي الشيء نسياً كرمى رمياً، ونسياناً ونساية ونساوة بكسر النون فيهن والنسي بالكسر ويفتح ما نُسي، والنسي للكثير النسيان بالكسر والفتح⁹، وبين الفيومي أن النسيان مشترك بين معنيين:

- أحدهما: ترك الشيء على ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذكر له.

- والثاني: الترك على تعمد وعليه قوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي لا تقصدوا الترك والإهمال.

وأضاف قائلاً إن هذا الفعل يتعدى بالهمز والتضعيف.¹⁰

وفرق أصحاب المعجم الوجيز بين الفتح والكسر بأن الفتحة للكثير الغفلة والنسيان، أما الكسر فهو فقدان مؤقت لما حفظه الذهن من صور وأفكار وكلام.¹¹

والواضح من هذا كله أن النسيان سواء أكان بفتح النون أم بكسرها هو ضد الحفظ، وهذا الضد أي النسيان تنوع إلى نوعين، فهو إما عن ذهول وغفلة، وإما عن قصد وعمد.

⁹ - الصحاح، والقاموس المحيط والمصباح المنير، مادة نسي.

¹⁰ - المصباح المنير، نسي.

¹¹ - المعجم الوجيز، نسي.

أسباب نشوء مهارة الحفظ وانتشارها:

ترجع هذه المهارة إلى عاملين:

الأول: تلك الموهبة التي يمنحها الله بعض عباده.

والثانية: الهمة العالية التي قد تتحقق عند شخص ما فتدفعه إلى القيام بأسباب عناية هذه الموهبة، وتنمية هذه البذرة حتى تصير شجرة مثمرة يانعة.

وقد أشار العلماء القدماء إلى هذين العاملين حين تحدثوا عن العقل وحقيقته، قال الأبشيهي: واعلم أن العقل ينقسم إلى قسمين:

قسم لا يقبل الزيادة والنقصان، وقسم يقبلهما.

فأما الأول: فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء.

وأما الثاني: فهو العقل التجريبي وهو مكتسب، وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع.^{١٢}

ولذا فهذه المهارة أصلها موهبة من الله تتجلى في حدة الذكاء وفطنة القلب، ثم تنمو بالمران والممارسة فتصير بذلك مهارة من أرقى المهارات، وأمرها كأمر رياضة الأعضاء، فبالرياضة المتكررة يقوى الجسم ويكتمل.

أما انتشار هذه المهارة وتحققها عند العرب المسلمين فلها عدد من الأسباب، إضافة إلى العاملين اللذين ذكرناهما من قبل، هذه الأسباب هي:

1- أن العرب في الأصل أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، فليس أمامهم إلا الاعتماد على الحفظ، وقد وهبهم الله هذه المنحة وفضلهم بهذه الخِصِّصة، وهذا الأمر بين واضح.

2- رغبة بعض الموهوبين أن يكونوا شعراء، والمعلوم أن الشاعر لا بد له في الأصل من موهبة يردفها مخزون لغوي شعري، وحينئذٍ عليه أن يحفظ الكثير من الشعر ليكوِّنَ مخزوناً لغوياً منمقاً بتفاعيل وموسيقى راتبة، فيختمر هذا المخزون ثم يجيش الصدر بها لحدثٍ ما، فينفجر ينبوع الشعر وينسكب، قال أبو نواس مشيراً إلى ذلك:

"ما قلت الشعرَ حتى رويت لستين امرأةً منهن الخنساء وليلى، فما ظنك بالرجال".^{١٣}

^{١٢} - المستطرف، ٢٩/١.

^{١٣} - المستطرف، ١١٠/١.

وكان أبو تمام الطائي الشاعر المشهور يحفظ أربعة آلاف أرجوزة غير القصائد والمقاطع.^{١٤} ولقد أشار ابن خلدون إلى فائدة هذا الحفظ فبين أنه يُنتج الأساليب اللغوية الراقية، لأن كثرة المحفوظ تؤدي إلى محاكاة هذا المحفوظ، قال:

"وجه التعليم لمن يتغني هذه الملكة ويروم تحصيلها، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم حتى ينتزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم".^{١٥}

3- أن هناك حثاً على رواية الشعر، ورواية الشعر لا شك تستلزم حفظ ما يراد حفظه، الأمر الذي يدعم هذه المهارة ويقويها وما أكثر الأقوال التي تحث على رواية الشعر وترغب فيه، قالت عائشة رضي الله عنها:

"رؤوا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم".^{١٦}

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه:

"أرووا الشعر فإنه يدل على محاسن الأخلاق وينفي مساوئها".^{١٧}

وتحدث ابن رشيق القيرواني عن فائدة رواية الأشعار، التي قد تكون سبباً في اتجاه الشعراء والعلماء إلى الحفظ قال:

"فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار، أنه إذا كان راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مآخذ الكلام، ولم يضق به المذهب، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية، ضلّ واهتدى من حيث لا يعلم، وربما طلب المعنى لم يصل إليه وهو مائل بين يديه، لضعف آله، كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض، فلا تعينه الآلة".^{١٨}

^{١٤} - شذرات الذهب ١٨٧/٢.

^{١٥} - المقدمة، ٥٢٦ ٥٢٧.

^{١٦} - أورده صاحب العقد الفريد بلا سند، 5/258، 6/9.

^{١٧} - المستطرف ١١١/١.

^{١٨} - العمدة ١٩٧/١.

ومن القصص الدالة على ترغيبهم في حفظ الشعر وروايته أن زياد بن عبد الله وفد على معاوية فقال له:

"أقرأت القرآن؟"

قال: نعم.

قال: أقرضت القريض؟

قال: نعم.

قال: أرويت الشعر؟

قال: لا.

فكتب إلى عبدالله: أبا زياد بارك الله لك في ابنك فاروه الشعر فقد وجدته كاملاً^{١٩} ، فالظاهر من هذا كله أن رواية الشعر كانت سبباً من أسباب اتساع ظاهرة الحفظ وتأكيدها.

4- لعل إكرام الخلفاء والسلطين للأئمة المشهورين من الحفظة كان سبباً من أسباب انتشار هذه المهارة، فهذا هي قصة حماد الراوية الديلمي الكوفي المتوفى سنة ١٥٥هـ مع الوليد بن يزيد الأموي تفيد ذلك، قال له الوليد:

"لم سُميت الراوية؟"

قال: لأني أروي لكل شاعر سمعتُ به أو لم أسمع، وأميز بين قديمها وحديثها.

قال له: كم تحفظ من الشعر؟

قال: كثير، لكنني أنشدُ على كل حرف مئة قصيدة سوى المقطعات من شعر الجاهلية، دون الإسلام فامتحنه في ذلك فوجده كما قال، فأمر له بمائة ألف درهم، ووهبه هشام مائة ألف درهم^{٢٠}

ومن ذلك ما ذكره عن أبي محمّد الشيباني الراوية المعروف المتوفى سنة ٢٤٥هـ، قال المرزباني:

أخبرني محمد بن يحيى حدثنا الحسين بن يحيى قال:

"رأى الواثق بالله في منامه كأنه يسأل الله الجنة، وأن يتغمده في رحمته ولا يهلك بما هو فيه وأن قائلاً

قال له: لا يهلك على الله من قلبه (مَرَّتْ)، فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك فلم يعرفوا حقيقته فوجّه

إلى أبي محمّد فأحضره، فسأله عن الرؤيا والمُرْت، فقال أبو محمّد: (المُرْت من الأرض: القفر الذي لا

^{١٩} - المستطرف ١/١١١.

^{٢٠} - شذرات الذهب ١/٣٩٠.

نبتَ فيه) فالمعنى على هذا لا يَهْلِكُ على الله إلا من قلبه خالٍ من الإيمان خلو المرث من النبات.
فقال الواثق: أريد شاهداً من الشعر في المرت فأفكر أبو محمّ طويلاً فأنشده بعض من حضر بيتاً
لبعض بني أسد:

وَمَرَّتْ مَرُورَاتٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا *** وَيَصْبِحُ ذُو عِلْمٍ بِهَا وَهُوَ جَاهِلٌ

فضحك أبو محمّ ثم قال للذي أنشده: ربما بَعَدَ الشيء عن الإنسان وهو أقربُ إليه مما في كُفِّهِ،
والله لا تبرخ حتى أنشدك، فأنشد للعرب مائة بيت معروف، لشاعر معروف، في كل بيت منها ذُكِرَ
المرث، فأمر له الواثق بألف دينار، وأراده لمجالسته، فأبى أبو محمّ.^{٢١}

وقد وردت آثار كثيرة تحت على إكرام الحفظة وتشجيعهم بالمال، من ذلك قول سيدنا علي عليه السلام:
"ما من رجلٍ يحفظ القرآن إلا كان حقه في بيت المال كل سنة مائتي دينار أو ألفي درهم، إن حُرِّمَهُ في
الدنيا لم يجرمه في الآخرة وإن حفظ نصف القرآن فمائة دينار أو ألف درهم، يؤاخذ به الوالي على
بيت المال يوم القيامة، فإن كان له حسنات، أخذت من حسناته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من
أوزار هذا العبد فحُمِلَ على الوالي".^{٢٢}

ويندرج تحت هذا أن بعض الحفظة كانوا يعتقدون فيما يبدو أن للكتاب المحفوظ بركة، فرما جلب
لهم الرزق، نزع ذلك مما ذكره السيوطي عن الصاغاني صاحب مجمع البحرين والتكملة على
الصحاح، قال السيوطي:

"إن الصاغاني كان يقول لأصحابه:

احفظوا غريب أبي عبيد فمن حفظه ملك ألف دينار فأبى حفظته فملكته، وأشرت على بعض
أصحابي بحفظه فحفظه وملكها".^{٢٣}

5- ولعل بعضهم كان يطمح في أن يتحقق فيه ما قاله ابن عباس وهو أنه يولد في رأس كل
سبعين سنة من يحفظ كلَّ شيء، فلعل هذا القيل دفع بالكثيرين منهم إلى محاولة الوصول إلى هذه

^{٢١} - البغية ١/٢٤٤ (علي عمر).

^{٢٢} - بستان العارفين ٩٣- فيه نظر ويحتاج إلى مراجعة للتحقق من صحته.

^{٢٣} - البغية ١/٥٠١ (تحقيق علي عمر) - فيه نظر ويحتاج إلى مراجعة للتحقق من صحته.

المرتبة العالية، نزع ذلك مما ذكره ابن العماد صاحب شذرات الذهب عن أبي محمّد الشيباني قال مؤرج متحدثاً عن أبي محمّد:

"أخذ مني كتاباً فحبسه ليلة ثم جاء به وقد حفظه، وقال له سفيان بن عيينة: لا أراك تخطئ شيئاً مما تسمع، ثم قال له: حدثني الزُّهري عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كلّ شيء قال: وضرب بيده على جنبي وقال: أراك منهم".^{٢٤}

6- أن هناك اعتقاداً جازماً عند العلماء أن العلم الحقيقي هو ما حوته الصدور لا السطور.^{٢٥}

ولقد جاءت الأشعار والروايات التي تؤكد على هذا الاعتقاد قال الشافعي:

علمي معي حيثما يمتُّ يتبعني *** صدري وعاءٌ له لا بطنُ صندوقٍ

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي *** أو كنت في السوق كان العلم في السوق^{٢٦}

وقال الشاعر مُحمّد بن بشير الخارجي:

ليس بعلمٍ ما حوى القمطرُ *** ما العلمُ إلا ما حواه الصدرُ

ونقل ابن قتيبة عن كتاب الهند قولهم:

"العالم إذا اغتربَ فمعه من علمه كافٍ كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه".^{٢٧}

لقد روت كتب التراجم ما حصل للإمام الغزالي حين قال له كبير اللصوص هذه الحكمة فامتثل لها وراح يحفظ الكتب التي كان يحملها معه قال الغزالي:

"قُطِعَتْ علينا الطريقُ وأخذَ العيارون جميعَ ما معي ومضوا، فتبعتهم، فالتفت إليّ مُقدمهم وقال: ارجع ويحك وإلا هلكت.

فقلت له: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن تردّ عليّ تعليقتي فقط، فما هو بشيء تنتفعون به.

^{٢٤} - شذرات الذهب ٢ / ٢٤٤.

^{٢٥} - انظر المستطرف ١ / ٤٥.

^{٢٦} - انظر فقه العصر ١١٩.

^{٢٧} - عيون الأخبار ١ / ١٢١.

فقال لي: وما هي تعليقاتك؟

فقلت له: كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها.

فضحك وقال: كيف تدّعي أنك عرفت علمها؟ وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتك وبقيت بلا علم؟

ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليّ المخلاة.

قال الغزالي: هذا مُستنطقٌ أنطقه الله ليُرشدني به في أمري، فلما وافيت (طوس) أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علّقت، وصرتُ بحيث لو قُطِعَ عليّ الطريق لم أتجرد من علم".^{٢٨}

7- أن طبيعة بعض العلوم تعتمد على الحفظ فلا بد لطالب العلم من (متن) يحفظه، يستفاد ذلك من توصية الدمياطي لأهل القراءات بأن يحفظوا كتاباً في هذا العلم، قال: "من أراد علم القراءات عن تحقيق، فلا بد له من حفظ كتاب كامل يستحضر به اختلاف القراء".^{٢٩}

وعلى هذا النحو سارت العلوم الشرعية واللغوية أيضاً، إذ لا بد من حفظ كتاب يكون طريقاً للتمكن وسبيلاً للثبوت، فصنعوا المتون الثرية والشعرية لكل فن من فنونهم، فمن مالت نفسه إلى النثر وجد متناً ثرياً ك (المفصل) و (الكافية) عند أهل النحو، ومن رأى نفسه تميل إلى الشعر وجد عنده (وافية ابن الحاجب) و (ألفية ابن معط) و (ألفية ابن مالك) وغيرها من المنظومات الشعرية التعليمية المعروفة، وقس على ذلك متون العلوم الأخرى.

8- والحق أن هناك عاملاً تفسر به هذه الظاهرة أحسن تفسير و أقواه، وهو العامل الديني نريد به ما ورد من آيات كريمة وأحاديث نبوية وأقوال للخلفاء والتابعين تحض على حفظ القرآن الكريم وتحث عليه، الأمر الذي جعل هذه المهارة من أهم المهارات ومن أوسعها انتشاراً وظهوراً، فقد اتفق الأئمة على أن حفظ القرآن الكريم فرض كفاية على الأمة، والغاية من ذلك أن لا ينقطع عدد التواتر من الحفظ فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف^{٣٠} أي يُفترض وجودُ حُفَاطٍ يبلغ عددهم حد التواتر في الأقطار بحيث تيسر مراجعة القرآن الكريم عندهم.^{٣١}

^{٢٨} - أيها الولد والقواعد العشر للإمام الغزالي (تحقيق: مجّد أديب كلّكل) ٨ المقدمة.

^{٢٩} - الإتحاف ١٧.

^{٣٠} - الإتحاف ٥.

^{٣١} - ترتيب العلوم ١٠٨ أ - بتصرف.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة المرغبة في حفظ كتاب الله فضلاً عن تلاوته من ذلك قول الرسول

ﷺ:

(إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال:

(يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها).^{٣٢}

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

(إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجاني عنه، وإكرام

ذي السلطان المقسط).^{٣٣}

ويندرج تحت هذا الترغيب النبوي ذلك الثناء العطر الذي نقرؤه في مقدمات كتب التفسير لحملة

القرآن الكريم وحفاظه، من ذلك ما ذكره القرطبي حول مكانة هؤلاء الحفظة بقوله:

"فقرأة القرآن حملة سرّ الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمنائه، وهم أهله وخاصته

وخيرته وأصفياءه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن لله أهلين منا، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته).

وعن عاصم بن حمزة بن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله

الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلٌّ قد وجبت له النار).^{٣٤}

وامتد هذا الثناء لمعلمي القرآن الكريم ومحفظيه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه).^{٣٥}

وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

^{٣٢} - التبيان في آداب حملة القرآن، ٢٢، والإتقان ٢ / ٢١٠٩، وانظر تخريج الأحاديث في الكتابين المذكورين.

^{٣٣} - التبيان ٣١، والجامع للقرطبي ٤٧/١، وانظر تخريج الحديث في المرجعين السابقين.

^{٣٤} - الجامع ١٧-٦/١ وانظر تخريج الحديثين في هامش المرجع المذكور.

^{٣٥} - انظر التبيان، ١٥.

(أحبُّ العباد إلى الله تعالى بعد الأنبياء والشهداء المعلمون، وما في الأرض من بقعة بعد المساجد أحب إلى الله تعالى من البقعة التي يتلى فيها الكتاب).^{٣٦}

ولا ريب بعد ذلك كله أن مثل هذه الأحاديث والأقوال التي تحض على حفظ القرآن هي من أقوى الأسباب التي تدفع المسلم إلى حفظه وتعهده ليكون المرء ممن تشملهم هذه المنازل التي تحدثت عنها الأحاديث النبوية الشريفة وما أكثرها.

تلكم هي الأسباب التي وجدتها دوافع تشحذ الهمة، وتقوي العزيمة للحفظ، إذ يترقى الإنسان بها ليكون متميزاً متألقاً في علمه الذي تخصص فيه.

والآن ننتقل إلى الوسائل التي اعتمد عليها الحفظة في حفظهم.

^{٣٦} - بستان العارفين، ٩٢- وقد بحثت عنه في كتب السنة ولم أجده.

وسائل الحفظ وطرقه

إن الناظر في كتب التفسير واللغة يستطيع أن يلتقط الوسائل التي اعتمد عليها الحفظة لحفظ ما يريدون حفظه وعدم نسيانه، فهي في آنٍ واحد وسائل تساعد على الحفظ من جهة، وتثبت المحفوظ من جهة ثانية، وهي:

1- التكرار بأن يعيد الحافظ ما حفظ ويكرره، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوسيلة بقوله

تعالى:

(لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)، قال الآلوسي: وقيل "اتبع قرآنه بالدرس على معنى كرهه حتى يرسخ في ذهنك".^{٣٧}

ونقل عن ابن عباس قوله: "كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدةً، فكان يحرك به لسانه وشفثيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى: (لا تحرك به لسانك).

وذكر أبو حيان عن الضحاك قوله:

"السبب أنه كان عليه الصلاة والسلام يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشقَّ فنزلت " ^{٣٨}، وهذا يعني أن معاهدة المحفوظ واستدكاره فيه مشقة وتعب وإجهاد، لكن تكرار هذا المحفوظ يؤدي إلى ثباته، ونقل أبو حيان عن بعضهم في قوله تعالى) سنقرئك فلا تنسى (بأن هذا أمر للرسول ﷺ على " أن لا ينسى على معنى الثبت والتأكيد، وقد علم أن النسيان ليس في قدرته فهو نهي عن إغفال التعاهد".^{٣٩}

وأشار القرطبي وهو بصدد حديثه عما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به إلى وسيلة التكرار هذه لئلا ينسى قال:

"فأول ذلك أن يخلص في طلبه لله عز وجل وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه".^{٤٠}

^{٣٧} - روح المعاني ١٧٨/٢٩.

^{٣٨} - البحر المحيط ٣٨٧/٢.

^{٣٩} - البحر ٤٥٨/٨.

^{٤٠} - الجامع ٣٧/١.

وقد نص أهل القراءات كثيراً على أن من أحب حفظ القرآن فعليه أن يتعاهده كما قال الدمياطي، لأن نسيان شيء منه كبيرة، مؤكداً ذلك بقول الرسول ﷺ: (عرضت علي ذنوب أمتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن، أو آية، أو تيها رجل ثم نسيها)، "وليقل ندباً: أنسيْتُ كذا لا نسيته للنهي عنه في الحديث".^{٤١}

وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من نسيان ما حفظ من القرآن فهي من جانب تحذيرٍ ومن جانب آخر ترغيبٍ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

(تعاهدوا هذا القرآن فو الذي نفسُ محمد بيده، لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقلها)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

(إنما مثلُ صاحب القرآن كمثل الإبل المعقّلة، إن عاهدَ عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبَتْ).

وعن سعد بن عبادَةَ عن النبي ﷺ:

(من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجدم).^{٤٢}

وقد ذكر أهل الحديث للترغيب في معاهدة القرآن واستظهاره بعض الرؤى المنامية التي تشير إلى فضل المثابرة على مراجعته وتكراره وعدم نسيانه:

فعن سليمان بن يسار قال: قال أبو أسيد رضي الله عنه:

"نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت، فلما أصبحت استرجعتُ، وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني" [رواه ابن أبي داود].

وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن أنه نام ليلة عن حزبه فأري في المنام كأن قائلاً يقول له:

عجبتُ من جسم ومن صحبةٍ *** ومن فتى نام إلى الفجر

والموت لا تؤمن خطفائه *** في ظلم الليل إذا يسري^{٤٣}

ونص النووي أنه يكره أن يقول الإنسان: نسيت آية كذا بل يقول: أنسيْتُها أو أسقطتها.^{٤٤}

^{٤١} -الإتحاف ١٧ وانظر الإتيقان ٢/٦٦٦ .

^{٤٢} - انظر هذه الأحاديث و تحريجاتها في التبيان ٩٦-٩٨ وانظر الجامع للقرطبي ١/٣٧، والإتيقان ٢/٦٦٧.

^{٤٣} - التبيان، ٩٨، وانظر تخريج الحديث في الهامش.

^{٤٤} - انظر التبيان ٢٥، والإتيقان ٢/٦٦٦.

و بدهي أن عدم مذاكرة المحفوظ يؤدي إلى نسيانه وتشتته، وهو أمر بين واضح في كل العلوم، يروى عن هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل أنه كان يقول: "أعرفُ عشرين علماً أنسيْتُ بعضها لعدم المذاكرة".^{٤٥}

والخلاصة: أن التكرار ومراجعة المحفوظ والحرص عليه من الوسائل المهمة التي تؤدي إلى الثمرة، وهي تحقيق الحفظ وضبطه وعدم ضياعه.

قال الأصمعي حين سأله المازني عن كثرة محفوظاته ما نصه: "إنه كان همماً وسدماً". قال أبو الطيب اللغوي: و (السَّدْمُ) ها هنا الحرص.^{٤٦}

وأشار الشافعي إلى هذا الحرص بقوله:

أخي لن تنال العلم إلا بستة *** سأنبيك عن تفصيلها بيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة *** وصحبة أستاذ وطول زمان^{٤٧}

ومراده من الحرص هو حرصه على الحفظ والفهم وعدم نسيان المحفوظ، ولا يتحقق ذلك إلا بتكراره واستظهاره دائماً.

2- ومن الوسائل التي ذكرها لتثبيت الحفظ وتسهيله الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، وهذه الوسيلة من أهم الوسائل التي يجب على طالب العلم أن يسلكها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله:

(واذكر ربك إذا نسيت)، قال بعضهم "اذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت".^{٤٨}

وقال ابن مسعود: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها"، وكتب رجل إلى أخ له كما قال ابن قتيبة: "إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب".^{٤٩}

وقد شاعت نصيحة الإمام مالك للشافعي حين قدم عليه حافظاً موطأه في تسع ليالٍ، قال له مالك: "يا مُجَّد اتقِ الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن، إن الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه

^{٤٥} - البغية ٣١٤/٢.

^{٤٦} - المراتب ٩٥.

^{٤٧} - المستطرف ٤٣/١.

^{٤٨} - روح المعاني ٥/١٥.

^{٤٩} - عيون الأخبار ١٢٥/٣.

بالمعصية"^{٥٠} ، ولعل هذه الإضاءة أبرقت في عقل الشافعي البيتين الذين سارت بهما الركبان مضافاً إليها قول شيخه وكيع بن الجراح حين شكاه له سوء حفظه فقال له:

"استعن على الحفظ بترك المعاصي"^{٥١} والبیتان هما:

شكوت إلى وكيع سوءَ حفظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلمَ نورٌ *** ونورُ الله لا يهدى لعاصي

وفي رواية الأبشيهي:^{٥٢}

وذلك أن حفظ العلم فضلٌ *** وفضل الله لا يؤتى لعاصي

فنص على لفظ الحفظ للاهتمام به.

3- اتجه بعض العلماء لتسهيل الحفظ وعدم النسيان إلى استثمار ما قيل حول بعض السور القرآنية أو الآيات الكريمة أو الأدعية والآثار الواردة عن بعض العلماء والزهاد والصالحين، وأحسب أن ما ورد من ذلك لو جمع لبلغ مئات الصفحات، أكتفي منها ما ذكره الأبشيهي في كتابه المستطرف قال:

"وجد في بعض الآثار عن بعضهم أنه قال: إذا أردت أن تكون أحفظَ الناس فقل: عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة في كل شيء أردت: بسم الله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد كل حرف كُتِبَ ويُكْتَبُ أبد الآبدين ودهر الدهرين وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم "^{٥٣}.

وقيل " إذا أردت أن لا تنسى حرفاً فقل قبل القراءة: اللهم افتح علينا حكمتك، وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والإكرام."

^{٥٠} - الفقه المبسط، لمحمد أديب كلكل ٨، (المقدمة).

^{٥١} - المستطرف ٤٢/١.

^{٥٢} - المستطرف ٤٢/١.

^{٥٣} - المستطرف ٤٢/١.

وقيل: "إذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة: آمنت بالله الواحد الأحد الحق، لا شريك له وكفرت بما سواه."

ونقل عن الشيخ ابن عجيل للحفظ أن يقرأ الإنسان في كل يوم عشر مرات (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) ثم يقول: "يا حيُّ يا قيوم يا ربِّ موسى وهارون، و يا ربِّ إبراهيم ويا ربِّ محمدٍ عليه وعليهم الصلاة والسلام، ألزمني الفهم وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين".^{٥٤}

ولا شك أن كثيراً مما ذكر لم يرد به نص شرعي يقطع في هذه المسألة، لكن هذه الآثار تدل على الجو الثقافي الذي كان يعيش فيه بعض العلماء في نظرهم إلى هذه المهارة، ويصور أيضاً كيف حاولوا علاجها في المجتمع عند أولئك الذين تبلدت عقولهم وتوقفوا عن تنمية هذه المهارة.

4- استعمال بعض النباتات والأعشاب التي تساعد على الحفظ، لقد استقر عند القدماء هذا الاعتقاد بسبب التجارب التي حدثوا عنها أو أشار إليها الحكماء فضلاً عن الأحاديث الواردة في الطب النبوي الشريف، قالوا عن ابن داوود صاحب المسند المتوفى سنة ٢٠٤هـ: أنه أكل حَبَّ البلادُر لأجل الحفظ والفهم فأحدث له جُذاماً وبرصاً فكان يحفظ أربعين ألف حديث.^{٥٥}

أما الشافعي فقد نقل عنه قوله استعملت اللُّبان سنة للحفظ فأعقبني صبُّ الدم سنة.^{٥٦}

وتروي لنا كتب التراجم أن بعض الحفظة اعتمد نظاماً غذائياً حافظ به على محفوظه، من هؤلاء: أبو بكر مُجَّد بن قاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، هذا الرجل كان فريد دهره ووحيد عصره، كان يحفظ ثلاث مئة ألف بيت شاهد في القرآن، ويحفظ مائة وعشرين تفسيراً من تفاسير القرآن بأسانيدها، قال عنه أبو الحسن العروضي:

"اجتمعت أنا وهو عند الراضي بالله على الطعام، وكان قد عرف الطباخ ما يأكل فكان يسوي له قليّة يابسة قال: فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطاييه، وهو يعالج تلك القليّة، ثم فرغنا وأتينا بجلوى فلم يأكل منها، فقام وقمنا إلى الخيش^{٥٧}، فنام بين يدي الخيش ونمنا في خيش يُنَافَسُ فيه، فلم يشرب

^{٥٤} - المستطرف ٤٣/١.

^{٥٥} - شذرات الذهب ٨٥/٢.

^{٥٦} - شذرات الذهب ٨٠/٢.

^{٥٧} - الخيش: ثياب في نسجها رقة، القاموس المحيط، خيش.

ماءً إلى العصر فلما كان بعد العصر قال: يا غلامُ الوظيفة، فجاءه بماءٍ من الجُبِّ^{٥٨}، وترك الماء المزمَّلَ بالثلج فغاضني أمره فصحت صيحة: يا أمير المؤمنين فأمر بإحضاري وقال ما قصتك؟ فأخبرته وقلت: يا أمير المؤمنين يحتاج هذا إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه، لأنه يقتلها ولا يحسن عُشْرَتَهَا، فضحك وقال: له في هذه لذة، وقد جرت له به عادة، وصار ألفاً لذلك فلن يضره، ثم قلت: يا أبا بكر لم تفعل هذا بنفسك؟

فقال: أبقى على حفظي، قلت له: قد أكثرَ الناس في حفظك، فكم تحفظ؟

فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً، ولقد كان هذا الرجل آية من آيات الله تعالى في الحفظ، ذكر حمزة بن مُجَدِّدِ الدقاق قال: كان يملئ كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار كلُّ ذلك من حفظه، وأملى كتاب غريب الحديث، قيل: إنه خمسون وأربعون ألف ورقة، وكتاب في شرح الكافي وهو نحو ألف ورقة، وكتاب الهاءات نحو ألف ورقة، وكتاب الأضاد وشرح الجاهليات سبعمائة ورقة، وكتاب المشكل أملاه وبلغ فيه إلى طه وما أتمه وقد أملاه سنين كثيرة^{٥٩}.

وفي عصرنا الحاضر رأيت الشيخ الفاضل العلامة الراوية النسابة سعيد الطنطاوي -وهو شقيق الشيخ علي الطنطاوي يرحمه الله-، يسلك هذا المسلك في اعتماد نظام غذائي واجتماعي للحفاظ على محفوظه وهو القرآن الكريم مع خمسة عشر ألف بيت من الشعر، يستشهد به على كل ما يقع بصره عليه أو يُحَدِّث به، لقد ابتعد عن تناول اللحوم وأكثر من أكل الخضراوات والفاكهة، وأعرفه منذ ثلاث سنوات يقتصر على التمر والحليب وبرتقالة واحدة عند الصباح وشرب الماء فقط.. مع صوم الإثنين والخميس دائماً.

ولعل هذا النظام الغذائي جعله محافظاً على مخزونه المحفوظ حتى الآن بعد بلوغه الخامسة والثمانين سنة أمد الله في عمره وشفاه من العلل والأوصاب.

ولقد قدم ابن القيم في كتابه القيم الطب النبوي حديثاً قيماً نافعاً عن النسيان، فبين أسبابه حين تحدث عن فائدة اللُّبَان (الكُنْدُر) قال:

"إن النسيان إذا كان لسوء مزاج بارد رطب يغلب على الدماغ، فلا يحفظ ما ينطبع فيه، نفع منه

^{٥٨} - في الأصل الحُب بضم الحاء، إناء معروف للماء، والصواب ما أثبتناه لأن مراده أنه وعاء غير مثلج.

^{٥٩} - نزهة الألبا ٢٣٢-٢٣٣.

اللُّبان، وأما إذا كان النسيان لغلبة شيء عارض، أمكن زواله سريعاً بالمرطبات، والفرق بينهما، أن اليبوسيّ يتبع سهر وحفظ الأمور الماضية دون الحالية، والرطوبي بالعكس^{٦٠}.

ثم عرض يرحمه الله إلى بعض مضار ما يعتقدونه الناس أنه مفيد لذهاب النسيان، فقال: "وقد يحدث النسيان أشياء بالخاصية، كحجامة نقرة القفا، وإدمان أكل الكسفرة الرطبة، والتفاح الحامض، وكثرة الهم والغم، والنظر في الماء، والبول فيه، والنظر إلى المصلوب، والإكثار من قراءة ألواح القبور، والمشى بين جملين مقطورين، وإلقاء القمل في الحياض، وأكل سؤر الفأر، وأكثر هذا معروف بالتجربة"^{٦١}.

وذكر يرحمه الله كثيراً من الآثار التي تدل على فوائد اللبان في تقوية الذاكرة وعدم النسيان، قال: "يروى عن علي عليه السلام أنه قال لرجل شكوا إليه النسيان: عليك باللُّبان، فإنه يشجع القلب ويذهب بالنسيان".

ثم ذكر عن ابن عباس قوله أيضاً:

"إن شرب اللُّبان مع السكر على الريق جيد للبول والنسيان".

ونقل عن أنس رضي الله عنه قوله لرجل شكوا إليه النسيان، فقال:

"عليك بالكندر، وانقعه من الليل، فإذا أصبحت فخذ منه شربة على الريق فإنه جيد للنسيان"^{٦٢}

ولقد رجعت إلى مواقع الخزانة العالمية كـ (ملتقى أهل الحديث) و (الألوكة) فوجدت أصحابها يفيضون في ذكر الأعشاب والنباتات التي تساعد على الحفظ وتقوي الذاكرة، ذاكرين أن بعضها منقول عن الطب النبوي لابن القيم منها:

العسل و الزنجبيل و الميرمية و الزبيب و حبوب اللقاح و الفلفل الأبيض و القرفة و الكُنْدُر و الجوز (عين الجمل) و حبُّ الفهم المسمى البلاذُر و الهندباء البرية و الخميرة، ثم يوصون طالب العلم بالإكثار من تناول الخضراوات والفاكهة الطازجة، وذكر بعضهم الحجامة، لكن صاحب بستان العارفين وابن القيم ذهبا إلى أنها مكروهة و تورث النسيان إن كانت في نقرة القفا.^{٦٣}

^{٦٠} - الطب النبوي، لابن القيم، ٣٥٥.

^{٦١} - الطب النبوي، ٣٥٥.

^{٦٢} - الطب النبوي، ابن القيم، ٣٥٥.

^{٦٣} - بستان العارفين ٥٧، والطب النبوي ٣٥٥.

وذكر واحد منهم أنه حضر دورات لتعليم الحفظ فعلموه التنفس العميق، وشجعوه على الجلوس في الصفوف الأولى، وعدم إشغال الفكر بشيء إلا بالمحفوظ.

هذا ما ألفيناه من حديث القدماء والمحدثين حول وسائل الحفظ وتثبيت المحفوظ.

أوقات الحفظ والمذاكرة

عرض أهل القرآن الكريم المشتغلون بحفظه أوقاتاً فُضِّلَتْ على غيرها لأجل سرعة الحفظ والفهم، وهي:

1 - بعد صلاة الفجر لأنّ الذهن يكون نشيطاً وعملاً بقول الرسول ﷺ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها).^{٦٤}

2- قبل النوم أفدت ذلك مما ذكره في ترجمة الفيروز أبادي، فقد نقل السيوطي عنه أنه كان يقول: "ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر".^{٦٥}

3- وقد تحدث الأبشيهي عن أوقات فضيلة يستحسن فيها قراءة القرآن- وأرى أنه يستحسن فيها الحفظ أيضاً- قال:

"وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير أفضل من الأول، والقراءة من المغرب والعشاء محبوبة، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح"^{٦٦}، وهذه الأوقات تضمنتها الآية القرآنية(آناء الليل وأطراف النهار) .

4-وألفيت في موقع (ملتقى أهل الحديث) و (الألوكة) تأكيداً على هذه الأوقات وأضافوا إليها أن على القارئ أن يختار الوقت الذي ليس فيه أشغال وأعمال.

وذكروا بعض الخطوات التي تساعد على هذه المهارة وهي:

1- تصحيح ما يراد حفظه لئلا يحفظ الطالب الغلط فيرسخ الغلط في ذهنه.

2- حفظ اليسير الذي يقدر عليه.

3-مراعاة وقت الحفظ التي أشرنا إليها.

4- كثرة التكرار مع المراجعة الأسبوعية والشهرية.

5-وقد أشار الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي إلى طريقة يتبعها أهل شنقيط للحفظ، فقال:

"من الطرق في الحفظ، طريقة الجهات الأربع وحاصلها أن الطالب بعد أن يحفظ الدرس يكرره عشرين مرة إلى كل جهة من الجهات الأربعة فيتجه إلى الشرق فيقرؤه عشرين مرة، ثم إلى الغرب كذلك، ثم إلى

^{٦٤} - التبيان ٦٩ .

^{٦٥} - البغية ٢٥٩/١ .

^{٦٦} - المستطرف، ١ / ٣٧ .

الشمال كذلك، ثم إلى الجنوب كذلك، وبعضهم يقرأ على كل أصبع من أصابع يديه ما يريد حفظه عشر مرات، وسئل أحد مشايخهم الذين أتقنوا حفظ مختصر خليل في الفقه المالكي عن طريقة حفظه له فقال: ألف غياب ومائة تكريره، أي إنه كان يقرأ درس المتن ألف مرة، ويراجع الشرح من ذهنه مائة مرة.^{٦٧}

وأضاف الشيخ محمد الددو حفظه الله أن كتاب مختصر خليل يدرسه الطلاب المتوسطون عندهم إذا كانوا جادين في سنة، لأنه ثلاث مئة وثلاثة وثلاثون درساً، أما ألفية ابن مالك فحفظها يستغرق عشرة أشهر.^{٦٨}

^{٦٧} - فقه العصر، ١٣٨.

^{٦٨} - فقه العصر، ١٣١.

وننتقل الآن إلى:

مظاهر مهارة الحفظ عند القدماء والمحدثين

إن الناظر في كتب التراجم يُدهش لكثرة ما حوت من أخبار هؤلاء النحارير، وأعاجيب الدهارير، ولكثرتهم وتنوع علومهم جعلتهم في طائفتين:

الأولى: طائفة أهل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقهاء والمفسرين.

الثانية: طائفة اللغويين والرواة والنحاة والشعراء.

أما أصحاب الطائفة الأولى: فقد ألف كثيرٌ من العلماء معاجمَ تدل عليهم، وتشيد بذكورهم من ذلك طبقات القراء وطبقات الحفاظ للذهبي وغاية النهاية لابن الجزري و طبقات الحفاظ للسيوطي وطبقات المفسرين للداودي وغير ذلك كثير، ومن قراءتنا في كتبهم وقفت على كبارهم الذين نلاحظ عندهم هذه الظاهرة واضحة، منهم:

1- الإمام الفقيه الشعبي المتوفى سنة ١٠٣ هـ، قال عن نفسه:

"لو أن رجلاً حفظ ما نسيت كان عالماً." ٦٩

ونقل الأَبشيهي عنه ما نصه:

"دخلت على الحجاج حين قدم العراق، فسألني عن اسمي فأخبرته، ثم قال: يا شعبي كيف علمك بكتاب الله؟

قلت: عني يُؤخَذُ.

قال: كيف علمك بالفرائض؟

قلت: إليّ فيها المنتهى.

قال: كيف علمك بأنساب الناس؟

قلت: أنا الفيصلُ فيها.

قال: كيف علمك بالشعر؟

قلت: أنا ديوانه.

قال: لله أبوك، وفرض لي أموالاً، وسودني على قومي فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همّدان وخرجت وأنا سيدهم.^{٧٠}

2- ابن وهب الفهري المتوفى سنة ١٢٥هـ قيل عنه، حدث بمائة ألف حديث.^{٧١}

3- يزيد بن هارون المتوفى سنة ١٨٢هـ قيل: إنه كان يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بأسنادها ويحفظ للشاميين عشرين ألفاً.^{٧٢}

4- الإمام أبو داود الطيالسي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، صاحب المسند قيل: كان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث، وقيل أربعين ألفاً.^{٧٣}

5- الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٥هـ عالم قريش الذي ملأ طباق الأرض علماً، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطأ وهو ابن عشر.^{٧٤}

قال:

"عمدت إلى الموطأ فاستعرتة من رجل بمكة فحفظته في تسع ليالٍ ظاهراً"، وحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها ولكثرة حفظه وثبته صحح الأصمعي عليه أشعار هذيل، ووصف بأنه ما نسي شيئاً حفظه أو سمعه.^{٧٥}

6- عائلة الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، كان رحمه الله من كبار الحفظة، قيل لأبي

زُرعة:

"من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟"

قال: أحمد بن حنبل، حُزرتُ كتبه في اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً، ما على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان كل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه.^{٧٦}

وانتقلت هذه المهارة إلى ابنه عبد الله أبي عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٦٠هـ، قال صاحب شذرات

الذهب عنه: يقال:

^{٧٠} - المستطرف ٤٢/١.

^{٧١} - شذرات الذهب ٥٠/٢.

^{٧٢} - شذرات الذهب ٩٢/٢.

^{٧٣} - شذرات الذهب ٨٤/٢.

^{٧٤} - شذرات الذهب، ٨١/٢.

^{٧٥} - الفقه المبسط للشيخ محمد أديب كلكل الصفحة ٨ المقدمة، والأنيس في الوحدة 232١ /، وعدد أحاديث الموطأ ألف وتسعمائة واثان وأربعون حديثاً.

^{٧٦} - شذرات الذهب ٢٢٦/٢، بتصرف.

"إن والده حفظه خمسة عشر ألف حديث عن ظهر قلب، ثم قال له: لم يقل النبي ﷺ شيئاً من هذا. فقال: ولم أذهبت أيامي في حفظ الكذب؟

قال: لتعلم الصحيح، فمن الآن أحفظ الصحيح."^{٧٧}

7- إسحاق بن بهلول، المتوفى سنة ٢٥٢ هـ، قال عنه ابن صاعد حدث بنحو خمسين ألف

حديث من حفظه، وعاش ثمانين سنة.^{٧٨}

8- شيخ المحدثين الإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ، قال عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة:

"ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري، حتى كان

يقال: إن حديثاً لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث."

قال البخاري رحمه الله تعالى:

"أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح."^{٧٩}

9- ومنهم أبو زُرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٢٦٤ هـ المحدث المشهور قال عنه

إسحاق بن راهويه:

"كل حديث لا يحفظه أبو زُرعة ليس له أصل."^{٨٠}

10- إسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٦٤ هـ قيل: كان يحفظ سبعين ألف حديث.^{٨١}

11- أبو قلابة، عبد الملك بن محمد الرقاشي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ قيل عنه: إنه روى من حفظه

ستين ألف حديث، وكان يصلي في اليوم واللييلة أربعمئة ركعة.^{٨٢}

12- أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧ هـ، قال: "ذهبت كتي فأملت من ظهر

قلي خمسين ألف حديث."^{٨٣}

13- يحيى بن محمد العنبري السلمي المتوفى سنة ٣٤٤ هـ، كان من نحارير الحفظة، قال أبو علي

الحافظ:

^{٧٧} - شذرات الذهب ٢/٣٧٦.

^{٧٨} - شذرات الذهب ٢/٢٦٨.

^{٧٩} - المستطرف ١/٤٣.

^{٨٠} - شذرات الذهب ٢/٣٠٣.

^{٨١} - شذرات الذهب ٢/٢١٢.

^{٨٢} - شذرات الذهب ٢/٣٣٥.

^{٨٣} - شذرات الذهب ٢/٢٨٧.

"الناس يعجبون من حفظنا لهذه الأسانيد، وأبو زكريا العبري يحفظ من العلوم ما لو كلفنا حفظ شيء منه لعجزنا عنه وما أعلم أبي رأيت مثله".^{٨٤}

14- ابن الفحام أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصقلي النحوي المشهور المتوفى سنة ٥١٠ هـ

صاحب كتاب التجريد بالقراءات قال عنه سليمان بن عبد العزيز:

"ما رأيت أحدا أعلم بالقراءات من ابن الفحام لا بالشرق ولا بالغرب وقيل: كان يحفظ القراءات كالفاتحة".^{٨٥}

15- ابن القرطبي أبو بكر عبد الله بن حسن الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة ٦١١ هـ كان من

أهل الحفظ لأسماء الرجال ولم يكن أحد يدانيه في الحفظ والتعديل إلا أفراداً من عصره، وقد نوّظ عليه في كتاب سيبويه.^{٨٦}

16- المرسي المفسر النحوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٥٥ هـ

ذكر الذهبي حين ترجم له أنه قرأ على أبي إسحاق بن إبراهيم بن يوسف ابن دهاق المعروف بابن المرأة.

قال عنه الذهبي: "كان لو قال هذه الآية تحتمل ألف وجه لقام بها".

وقال ابن دهاق عن نفسه: "مسمعت شيئاً إلا حفظته".

ونقل عنه قوله: "حفظت وأنا شاب القرآن وكتباً، منها إحياء علوم الدين للغزالي".^{٨٧}

17- ابن تيمية الإمام المعروف المتوفى سنة ٧٣٨ هـ، قال عنه جمال الدين السرمدي: "ومن

عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية، كان يمر بالكتاب مرة مطالعة، فيُنقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه".^{٨٨}

18- عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ هـ، حفظ القرآن وهو ابن سبع والشاطبية والمحرر

والكافية والشافية والمختصر الأصلي، ومما يحكى عن حفظه: "أنه أول ما دخل الكاملية طلب من

ناظرها بيتاً فامتنع واتفق مجيء شاعر الناصر بقصيدة وأنشده إياها بحضرة البلقيني.

فقال للناظر: قد حفظتها.

^{٨٤} - البغية ٣٣١/٢.

^{٨٥} - العقد الثمين ٦٠.

^{٨٦} - العقد الثمين ٦١.

^{٨٧} - العقد الثمين ١٩٥.

^{٨٨} - البدر الطالع ٧٠/١.

فقال له الناظر: إن كان كذلك أعطيتك بيتاً فأملاها له من حفظه جميعها فأعطاه البيت. "قال له ابن كثير: "أذكرتنا ابن تيمية."

وكذلك قال له ابن شيخ الجبل: "ما رأيت بعد ابن تيمية أحفظ منك."

وقال البرهان الحلبي: "رأيت رجلاً فريد دهره لم تر عيني أحفظ منه للفقه وأحاديث الأحكام." وأضاف الشوكاني قائلاً: "وقد كان وقع الاتفاق على أنه أحفظ أهل عصره وأوسعهم معارف وأكثرهم علوماً، ولم يزل متفرداً في جميع الأنواع العلمية حفظاً وسرداً لها كما هي حتى توفاه الله" ^{٨٩}

19- ابن حجر صاحب فتح الباري، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، ترجم له الشوكاني بقوله: "حفظ القرآن وهو ابن تسع، ثم حفظ العمدة وألفية الحديث للعراقي، والحاوي الصغير ومختصر ابن الحاجب في الأصول والملحة"، وأضاف قائلاً: "ثم تصدى لنشر الحديث، وشهد له بالحفظ حتى صار إطلاق لفظ الحافظ عليه إجماع"، ثم قال: "ولا ريب أن أجل مصنفاته فتح الباري، وكان شروعه في تصنيفه سنة ٨١٧ هـ على طريق الإملاء." ^{٩٠}

20- أخيراً أتخفكم بهذه التحفة العجيبة الفريدة، لقد نقل تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى أن: "كتب خزانة المدرسة النظامية حرق في زمن حياة نظام الملك فشق عليه ذلك، فقالوا له: لا تخف إن ابن الحداد وهو من فقهاء الشافعية يُملي للكتّاب جميع ما حُرق من حفظه، فأرسلوا خلفه فأملى جميع ما حرق في مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو ذلك." ^{٩١}

هذا غيض من فيض وسطر من كتاب مما حفلت به كتب التراجم حول أعلام وأخبار الطائفة الأولى فهم كما ترى فلتات الزمن ومحاسن الدهر، رحمهم الله تعالى وأنزل على قبورهم شآبيب رحماته ومزون أطفاه.

^{٨٩} - البدر الطالع ١/٥٠٦.

^{٩٠} - البدر الطالع ١/٨٧.

^{٩١} - الأنيس في الوحدة ١/٢١٨.

أما الطائفة الثانية: فكانوا كأنهم يسابقون الطائفة الأولى، إذ برزت هذه المهارة عندهم واضحة أيضاً، وأخبارهم التي تظهر هذه البراعة عجيبة جداً جداً، فكأنهم خلقوا لها أيضاً، منهم:

1- الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه المتوفى سنة ٦٨ هـ، كان أعجوبة في الحفظ وقصته مع نافع بن الأزرق تدل على ذلك، قال المبرد في الكامل:
 "بيننا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصيرين، حتى دخل وجلس فأقبل عليه ابن عباس فقال: أنشدنا فأنشده:

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرٌ *** غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمَهْجِرٌ

حتى أتى على آخرها، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك سفهاً فتسمعه.

فقال: تالله ما سمعت سفهاً.

فقال ابن الأزرق: أما أنشدك:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ *** فَيُخْزِي وَأَمَا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ

فقال: ليس هكذا.

قال: فكيف قال؟

فقال:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ *** فَيُضْحِي وَأَمَا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ

فقال: ما أراك إلا وقد حفظت البيت.

قال: أجل وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها.

قال: فإني أشاء.

فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها.

وفي رواية أخرى: "أن ابن عباس أنشدتها من أولها إلى آخرها، ثم أنشدتها من آخرها إلى أولها مقلوبة، وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً.

قال: وهذا غاية الذكاء.

فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قط.

فقال: لكني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب."

وكان ابن عباس يقول: "ما سمعت شيئاً قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني

كراهة أن أحفظ ما تقول"، وقوله: "فيضحى يقول يظهر للشمس، ويخصر يقول في البردين".^{٩٢}

ولا يخفى أن هذا الصحابي الجليل تجده حاضراً في كل فن فهو من أهل الطائفة الأولى في المقدمة،

ووضعه هنا لأن الحادثة تتصل برواية الشعر وحفظه ﷺ وأرضاه.

2- يونس بن حبيب البصري، المتوفى سنة ٨٣ هـ قال أبو عبيدة: "اختلفت إلى يونس أربعين

سنة أملاً كل يوم ألواحي من حفظه".^{٩٣}

3- حماد الراوية ابن أبي ليلى الديلمي الكوفي، المتوفى سنة ١٢٥ هـ، "قال له الوليد بن يزيد

الأموي: لم سُميت الراوية؟

قال: لأني أروي لكل شاعر سمعت به أو لم أسمع، وأميز بين قديمها وحديثها.

قال له: كم تحفظ من الشعر؟

قال: كثير، لكني أنشد على كل حرف مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون

الإسلام.. فامتحنه في ذلك فوجده كما قال فأمر له بمائة ألف درهم".^{٩٤}

4- أبو عمرو بن العلاء التميمي شيخ القراء، المتوفى سنة ١٥٤ هـ، روى أبو العيناء عن

الأصمعي ما نصه:

"قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت، ولقد حفظت

^{٩٢} - الكامل ١٢٨/٣.

^{٩٣} - مراتب النحويين ٤٤.

^{٩٤} - شذرات الذهب ٣٩٠/١.

في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها كلها " .^{٩٥}

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العربية ومؤسس علومها المتوفى سنة ١٧٠ هـ، قال عنه الذهبي: "كان مفرط الذكاء والعلماء يغرفون من بحره."

ونقل عن السيرافي قوله: "كان الخليل يحفظ نصف اللغة".^{٩٦}

6- خلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٠ هـ كان أعلم الناس بالشعر، وكان الناس يقصدونه لما مات حماد الراوية، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد.^{٩٧}
وقال عنه أبو الطيب أيضاً:

"ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد".^{٩٨}

7- الكسائي علي بن حمزة المتوفى ١٨٩ هـ قال أبو الطيب:

أخبرنا محمد بن عبد الواحد أخبرنا ثعلب قال:

"أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية وأوسعهم علماً الكسائي وكان يقول: كل ما سمعت في الشيء فعلت (إلا وقد سمعت فيه) أفعلت"^{٩٩}

8- علي بن مبارك الأحمر المتوفى سنة ١٩٤ هـ قال ثعلب عنه:

"كان الأحمر يحفظ سوى ما يحفظ أربعين ألف بيت شاهداً في النحو".^{١٠٠}

9- أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ صاحب كتاب الجيم كان عالماً باللغة حافظاً لها جامعاً لأشعار العرب.^{١٠١}

10- قطرب محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠١ هـ قال عنه أبو الطيب:

"وكان حافظاً للغة كثير النوادر والغريب".^{١٠٢}

^{٩٥} - العقد الثمين ٢٢٦.

^{٩٦} - العقد الثمين ٢٢-١٤٣ بتصرف.

^{٩٧} - مراتب النحويين ٨١.

^{٩٨} - المراتب ١٣٦.

^{٩٩} - مراتب النحويين ١٢٠ والمزهر للسيوطي ٤٠٧/٢.

^{١٠٠} - العقد الثمين، للذهبي ١٠٩.

^{١٠١} - نزهة الألبا ٨٦ والمزهر ٤١١/٢.

^{١٠٢} - مراتب النحويين ١٠٩.

- 11- الفراء، يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، قال سلمة:
 "أملى الفراء كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة، وكان مقدار الكتابين خمسين ورقة."^{١٠٣}
- 12- أبو زيد سعيد بن أوس المتوفى سنة 215 هـ كان أحفظ الناس في اللغة بعد أبي مالك وأوسعهم رواية، وهو من رواة الحديث، ثقة عندهم مأمون وكذلك حاله في اللغة، وقال الذهبي نقلًا عن السيرافي:
 "كان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة، والظاهر أن أبا زيد ضعفت ذاكرته فنسي بعض ما ألف قال الرياشي:
 أتيت أبا زيد و معي كتابه في الشجر والكأ، فقلت له: أقرأ عليك هذا فقال: لا تقرأه علي فإني قد أنسيته."^{١٠٤}
- 13- الأصمعي عبد الملك بن قريب المتوفى سنة ٢١٦ هـ، ذكر أبو الطيب اللغوي عن الهزاني قوله:
 سمعت الرياشي يقول: سمعت الأصمعي يقول:
 "أحفظ اثني عشرة ألف أرجوزة، فقال له رجل: منها البيت والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان."^{١٠٥}
 وفي رواية أخرى: "أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة."
 وروى عمر بن شبة قال: "سمعت، أي الأصمعي يقول: حفظت ستة عشر ألف أرجوزة."^{١٠٦}
 وقال بعض العلماء: "كان الأصمعي يحفظ ثلث اللغة، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة."^{١٠٧}
- 14 - أبو مسحل عبد الرحمن بن حريش المتوفى سنة ٢٢٨ هـ روى عن علي بن مبارك الأحمر أربعين ألف بيت شاهد في النحو، قال أبو بكر بن الأنباري، سمعت ثعلبا يقول:
 "ما ندمت على شيء كندمي على ترك سماع الأبيات التي كان يرويها أبو مسحل عن علي بن مبارك الأحمر."^{١٠٨}

١٠٣ - نزهة الألبا ٣٩.

١٠٤ - مراتب النحويين ٧٤، و العقد الثمين ٢٢.

١٠٥ - مراتب النحويين ٩٥، وانظر شذرات الذهب ١٢٩/٢.

١٠٦ - البغية ١٠٨/٢.

١٠٧ - شذرات الذهب ١٢٤/٢.

١٠٨ - البغية ٣٨ ٣٥/٢ (تحقيق علي عمر)، وانظر تاريخ العلماء للتوخي ١٨٦.

15- أبو تمام الطائي المتوفى سنة ٢٢٨هـ، قالوا: " كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع."^{١٠٩}

وما دمنا نتحدث عن الشاعر أبي تمام نرجع على ما ذكره ابن نديم حول الشعاعين الأديبين الحافظين أبي بكر وأبي عثمان مُجَّد وسعيد ابني هاشم المعروفين بالخالدين، من قرية من قرى الموصل، قال عنهما: "كانا حافظين على البديهة، قال أبو بكر-وقد تعجبت من كثرة حفظه وسرعة بديهته ومذاكرته-: إني أحفظ ألف سمر كل سمر في نحو مئة ورقة."^{١١٠}

16- ابن الأعرابي مُجَّد بن زياد الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١هـ قال ثعلب: "لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة وكان يحضر مجلسه زهاء مئة إنسان وما رأيت بيده كتابا قط، انتهى إليه علم اللغة والحفظ"، قال الأزهري: "ابن الأعرابي.... حفظ ما لم يحفظه غيره، وسمع من بني أسد، و بني عقيل فاستكثر."^{١١١}

17- إسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ حدث عن حماد الراوية ووصفه بن الأعرابي بالعلم والصدق والحفظ.^{١١٢}

18- أبو محمَّد الشيباني المتوفى سنة ٢٤٥ هـ، قال عنه مؤرخ السدوسي: "كان من أحفظ الناس، استعار مني جزءاً وردّه من الغد، وقد حفظه في ليلة، وكان مقداره نحو خمسين ورقة."^{١١٣}

ونقل السيوطي عن المرزباني قصة تتضمن أنه أنشد للعرب مائة بيت في كل بيت منها ذكرت لفظة (المرت) وهي اللفظة الذي سأل الوثائق عن معناها، فأمر الوثائق له بألف دينار وأراده لمجالسته فأبى أبو محمَّد.^{١١٤}

19- أبو مالك عمرو بن كزكرة المتوفى سنة ٢٤٨ هـ يقال: "إنه كان يحفظ اللغة كلها."^{١١٥}

^{١٠٩} - شذرات الذهب ١٨٧/٢.

^{١١٠} - الفهرست ٢٤١.

^{١١١} - العقد الثمين ٤٠ وانظر مراتب النحويين ١٤٧ ونزهة الألبا ١٣٤.

^{١١٢} - العقد الثمين ٣٦.

^{١١٣} - الفهرست ٦٩.

^{١١٤} - البغية ١/٢٤٤ (تحقيق علي عمر)، المُرث من الأرض: القفر الذي لا نبت فيه.

^{١١٥} - الفهرست ٦٦.

20- بندار بن عبد الحميد المعروف بابن لُرة، المتوفى سنة ٢٧٠ هـ، قال ياقوت عنه فيما نقله السيوطي:

"كان يحفظ سبع مائة قصيدة أول كل قصيدة بانة سعاد."

وقال عنه المبرد: "كان واحد زمانه في رواية دواوين شعراء العرب حتى كان لا يشذ عن حفظه من شعر شعراء الجاهلية والإسلام إلا القليل."^{١١٦}

21- ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني المتوفى سنة ٢٩١ هـ ذكر ابن النديم عن ثعلب أنه قال: "حفظت كتب الفراء حتى لم يشذ عني حرف منها، ولي خمس وعشرون سنة."^{١١٧}

وقد أملى مجالسه المطبوعة إملاء قال ابن النديم: "ولأبي العباس مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع وتكلم عليه، روى ذلك عنه جماعة."^{١١٨}

22- عبيد الله أبو بكر الخياط المتوفى سنة ٣٢٠ هـ قال عنه السيوطي:

"كان يحفظ الدواوين، قدم له يوما أبو الفضل بن العميد نعله فاستسرف من ذلك، فقال أبو الفضل: ألام على تعظيم رجل ما قرأت عليه شيئاً من الطبائع للجاحظ إلا عرف ديوان قائله، وقرأ القصيدة من أولها إلى آخرها حتى تنتهي."^{١١٩}

23- ابن دريد صاحب الجمهرة المتوفى سنة ٣٢١ هـ، قال عنه أبو الطيب:

"ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد."^{١٢٠} وقال أحمد بن يوسف الأزرق:

"ما رأيت أحفظ من ابن دريد، ما رأيت قرئ عليه ديوان إلا وهو يسابق في قراءته."^{١٢١}

24- نفطويه أبو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عرفة، المتوفى سنة ٣٢٣ هـ، كان متضلعا من العلوم، ومن محفوظه نقائض جرير والفرزدق وشعر ذي الرمة.^{١٢٢}

^{١١٦} - البغية ١/٤٥٧.

^{١١٧} - الفهرست ١١٠.

^{١١٨} - الفهرست ١١١.

^{١١٩} - البغية ٢/١٢٥، واستسرف أي زاد في التبجيل.

^{١٢٠} - المراتب ١٣٦.

^{١٢١} - شذرات الذهب ٢/٤٩١.

25- ومن الحفاظ العباقر، أبو بكر الأنباري مُجَّد بن القاسم بن بشار، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ قيل :
"إنه كان يحفظ ثلاث مائة ألف شاهد من القرآن الكريم".^{١٢٣}

وقد سُئل " :كم تحفظ؟ فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً، ثم قال مُجَّد بن جعفر: وهذا مما لم يحفظه أحد قبله ولا بعده، وكان أحفظ الناس للغة والشعر والتفسير، وحدث أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً من تفاسير القرآن بأسانيدھا، وقال عنه أبو سعيد بن يونس، كان أبو بكر آية من آيات الله تعالى في الحفظ."^{١٢٤}

ومما قيل في هذا الرجل الأعجوبة " :إن هذا الرجل لو سمع أو قرأ مائتي تفسير بأسانيدھا لحفظھا وكان لا يملي إلا من حفظه، ومرض يوماً فجاءه أصحابه، فرأوا من انزعاج والده أمراً عظيماً فطیبوا نفسه فقال: كيف لا أنزعج وهو يحفظ جميع ما ترون، وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً، وأعجب ما عرف من أمره أن جارية للراضي بالله سألته يوماً عن شيء في تعبير الرؤيا فقال: أنا حاقن، ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرمانی وقد صار معبراً للرؤيا."^{١٢٥}

وقد ذكرنا من قبل كيف كان يعتمد نظاماً غذائياً لكي لا ينسى ما حفظ، وكيف ابتعد عن أكل المالح لاعتقاده أنه يورث النسيان.

26- أبو عمر الزاهد المعروف بـغلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ، نقل الذهبي عن الخطيب قوله:
حدثنا علي بن أبي علي عن أبيه قال:

"ومن الرواة الذين لم ير قط أحفظ منهم أبو عمرو غلام ثعلب، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيما بلغني، وجميع كتبه إنما أملاها بغير تصنيف، ولسعة حفظه اتهم. وكان يسأل عن الشيء الذي يقدر أن السائل وضعه، فيجيب عنه، ثم يسأله غيره بعد سنة، فيجيب بجوابه."^{١٢٦}

^{١٢٢} - العقد الثمين ٢٣٦.

^{١٢٣} - نزهة الألبا ٢٣٧.

^{١٢٤} - نزهة الألبا ٢٣٣.

^{١٢٥} - انظر الأنيس في الوحدة ٤٥/٢.

^{١٢٦} - العقد الثمين ٢٩.

- 27- ومن الحفظة المغاربة إبراهيم بن عثمان أبي القاسم بن الوزان المتوفى سنة ٣٤٦ هـ شيخ المغرب في النحو واللغة، حفظ كتاب سيبويه والمصنف الغريب وكتاب العين وإصلاح المنطق، وأشياء كثيرة.^{١٢٧}
- 28- علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ قال عنه ابن الخشاب: " كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يمكن غيره أن يقوم به"^{١٢٨}
- 29- أبو العلاء المعري الشاعر اللغوي المعروف المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، قال عن نفسه: " ماسمعت شيئاً إلا حفظته، وما حفظت شيئاً فنسيته"^{١٢٩}
- 30- ابن سيده اللغوي المعروف، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ كان ضريراً أعجوبة من أعاجيب الدنيا، ويكفي لبيان نباهته وحفظه أن نقول:
"إنه أملى المخصص إملاء عن ظهر قلب كما أنه قرأ غريب المصنف على أبي عمر الطلمنكي من أوله إلى آخره من حفظه"^{١٣٠}
- ومن عرف المخصص يدرك نباهة هذا الرجل وعبقريته فحفظ ما هو لغوي أدق وأصعب من حفظ ما هو نحوي أو صرفي.
- 31- مكي بن محمد النحوي أبو الحرم، المتوفى سنة ٥٠١ هـ قرأ على ابن بابشاذ وحفظ شرح الجمل له، وحلف لا بد له كل يوم من قراءة كراس من شرح الجمل وإلا تصدق بدرهم ولم يزل كذلك إلى أن مات بالإسكندرية.^{١٣١}
- 32 - ابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وصف بأنه كان فصيحاً حلو الكلام حسن العبارة والإفهام قيل عنه: " صنف وأملى كتاب الأمالي، وهو كتاب نفيس يشتمل على فنون"^{١٣٢}.

^{١٢٧} - ديباج المذهب لابن فرحون ٢٧٨/١، والعقد الثمين للذهبي ٦٨ والبغية ٤٠٣/١ (تحقيق علي عمر).

^{١٢٨} - البغية ١٨١/٢.

^{١٢٩} - لزوم مالا يلزم ١٠٠/٢.

^{١٣٠} - البغية ١٣٨/٢.

^{١٣١} - البغية ٢٨٩/٢.

^{١٣٢} - العقد الثمين ٥٩.

- 33- أحمد بن علي المعروف ببوجعفر بكاف في آخره للتصغير في اللغة الفارسية المتوفى سنة ٥٤٤هـ، نقل السيوطي عن ياقوت قوله:
 "قرأ الصحاح على الميداني وحفظه عن ظهر قلب".^{١٣٣}
- 34- الخضر بن ثروان بن أحمد الثعلبي كان حياً سنة ٥٤٤هـ، نقل السيوطي عن ياقوت قوله فيه: "وله محفوظات كثيرة منها المجلد وشعر الهذليين وشعر رؤبة وذو الرمة".^{١٣٤}
- 35- الحسن بن ظهير النعماني المتوفى سنة ٥٨٩هـ، قال عنه السيوطي: "إنه كان يحفظ في كل فن كتاباً".^{١٣٥}
- 36- ابن الدهان العلامة وجيه الدين أبو بكر المبارك بن المبارك المتوفى سنة ٦١٢هـ، قرأ على أبي البركات الأنباري جملة من كتب النحو واللغة والشعر من حفظه، و أضاف ابن النجار قائلاً:
 "وذكر لي أنه قرأ نصف كتاب سيبويه من حفظه عليه أيضاً وأنه كان يحفظ في كل يوم كراساً في النحو ويفهمه ويطرح فيه حتى برع، وكان شديد الذكاء ثاقب الفهم، كثير الحفظ".^{١٣٦}
- 37- الكندي تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن المتوفى سنة ٦١٣هـ حفظ القرآن وهو صغير ثم حفظ القراءات وله عشر سنين قال عنه ابن النجار:
 "أظنه يحفظ كتاب سيبويه ما دخلت عليه قط إلا وهو في يديه يطالعه، وكان في مجلد واحد رفيع يقرؤه بلا كلفة وقد بلغ التسعين".
 وقال عنه الذهبي:
- "كان يروي كتباً كباراً من كتب العلم، وروى عنه كتاب سيبويه علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي، وكان الملك المعظم ابن عم الملك الأفضل الأيوبي يقرأ عليه دائماً، فقرأ عليه كتاب سيبويه نصاً وشرحاً، وكتاب الحماسة، وكتاب الإيضاح، وأشياء كثيرة".^{١٣٧}
- 38- الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المعروف بابن اللباد، المتوفى سنة ٦٢٠هـ، غلب

^{١٣٣} - البغية ١/٣٣٢ علي عمر.

^{١٣٤} - البغية ١/٥٣٢ علي عمر.

^{١٣٥} - البغية ١/٤٨٣ تحقيق (علي عمر).

^{١٣٦} - العقد الثمين ٥٢.

^{١٣٧} - العقد الثمين ١٨٠.

عليه علم الطب والأدب قال عن نفسه:

"سمعت الكثير وكنت أتلحن وأتعلم الخط، وأحفظ المقامات والفصيح وديوان المتنبي، ومختصرات الفقه، ومختصراً في النحو.... وصرت أتكلم على كل بيت كراريس، ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة، ومشكل القرآن له، واللمع.... وحفظت التكملة في أيام يسيرة، كل يوم كراس".^{١٣٨}

39- ابن معطٍ النحوي المعروف المتوفى سنة ٦٢٨ هـ قال السيوطي عنه: "كان يحفظ شيئاً كثيراً ومن جملة محفوظاته كتاب (صاح الجوهري) وكانت لديه القدرة على نظم المعاجم والكتب، نظم كتاب الصحاح للجوهري ولم يكمله ونظم كتاب الجمهرة لابن دريد، ونظم كتاباً في العروض، وقصيدة في القراءات السبع"^{١٣٩}.

40- محمد بن عمر المعروف بابن المرجل المتوفى سنة ٧١٦ هـ، وصفه الشوكاني بقوله: " كان أعجوبة في الذكاء والحفظ، حفظ المفصل في يوم، وحفظ ديوان المتنبي في جمعة، والمقامات في كل يوم مقامة، وكان لا يمر بشاهد للعرب إلا حفظ القصيدة كلها"^{١٤٠}.

41- السيد علي حسن النعمي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ، قال عنه الشوكاني: " كان يأتي على أكثر الكشاف غيباً"^{١٤١}.

^{١٣٨} - العقد الثمين ١٩٩.

^{١٣٩} - البغية ٣٣٢/٢.

^{١٤٠} - البدر الطالع ٢/٢٣٤، وفي الأصل في مائة يوم، ولعل الصواب فيما أثبتناه لأن حجم المفصل لا يحتاج حافظه إلى هذه المدة إذا كان قد حفظ ديوان المتنبي في جمعة.

^{١٤١} - البدر الطالع ٢/١٦٢ (الملحق).

ولا يفوتنا أخيراً أن نشير إلى أن كتب تراجم اللغويين والنحويين ذكرت في تراجمها بعض العلماء الذين اشتهروا بالأنساب والتاريخ وكانوا آيات في الحفظ أيضاً من هؤلاء:

1- هشام بن مُجَدِّ بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ في خلافة المأمون " كان كثير الرواية وأعلم الناس بالنسب " كما قال عنه أبو الطيب. ^{١٤٢}

ونقل الأنباري في نزهة الألبا عن مُجَدِّ بن السري قوله: قال لي هشام بن الكلبي: " حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عمُّ يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيته وحلفت أنني لا أخرج حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام. " ^{١٤٣}

2- ونقل عن الواقدي قاضي بغداد، أبي عبد الله مُجَدِّ بن عمرو بن واقد السلمي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، أنه كان يقول: " حفظي أكثر من كتبي، وكانت كتبه ١٢٠ حملاً. " ^{١٤٤}

3- الطبري أبو جعفر مُجَدِّ بن جرير المتوفى ٣١٠ هـ، العالم المشهور، وصفه ابن النديم بأنه كثير الحفظ، وأن إسحاق بن مُجَدِّ رأى أبا جعفر الطبري يقرأ عليه شعر الطرماح وشعر أبي الطيب. ^{١٤٥}

هذا قليل من كثير ونقطة من بحر، إذ لو أردنا الاستقصاء لاجتمع لدينا الآلاف من أسماء العلماء الذين وهبوا هذه المهارة، وينتسبون إلى فنون العلوم الشرعية واللغوية.

^{١٤٢} - مراتب النحويين ١١٣.

^{١٤٣} - نزهة الألبا ٨٤.

^{١٤٤} - شذرات الذهب ٩٦/٢.

^{١٤٥} - الفهرست ٣٢٦.

لقد اشتهر القوم الأسلاف بهذه المهارة فحفظوا لنا العلوم والفنون، ولم تنقطع هذه المهارة عبر التاريخ بل استمرت إلى عصرنا الحاضر، فكنا يعلم ما وصل إليه إخواننا الشناقطة في هذا الجانب، لقد نقل عنهم الأعاجيب التي يكاد المرء يشك فيها لولا أن القوم هم من هم في الورع والتقوى والقرب من الله، فوهبهم هذه العطايا، ومنحهم هذه المنح، قال العلامة مُجَدِّ الحسن الددو الشنقيطي: بأن أستاذه مُجَدِّ سيدي عبد الله الحجاج أخبره:

"بأن علوم المذاهب كلها لو قُذِفَتْ في البحر فلم يبق منها شيء لتمكنتُ أنا وتلميذي أَلْفَعُ الدَّبِماني من إعادتها دون زيغ أو نقصٍ يتولى هو المتون وأتولى أنا الشروح."

وأضاف قائلاً: "وقد ذكروا أن مُجَدِّ محمود بن أحمدية كان يحفظ مقامات الحريري والمستطرف وكامل المبرد والوسيط وديوان البحري، وديوان أبي تمام، وديوان المتنبي، وهذا كله في الأدب وحده فكيف به في الفقه وعلوم الشريعة..!"

"وكان سيدي المختار يحفظ الإتقان في علوم القرآن وفتح الباري وشرح صحيح الإمام البخاري، وتحدث عن جده الشيخ مُجَدِّ عالي: بأنه كان يسمع القصيدة الطويلة فيحفظها من المرة الواحدة، وقد يسمعا في مناجاة يناجي بها الإنسان آخر فيحفظها هو".^{١٤٦}

وذكر عن الشيخ ماء العينين الشريف أنه: "حفظ نصف مختصر الخليل في يومين، وحفظ الألفية في جزء يوم" وأضاف قائلاً: "وكان آية من آيات الله في الحفظ".^{١٤٧}

ولم يقتصر هذا التفرد على الرجال دون النساء عندهم، قال العلامة مُجَدِّ الددو: "إن مريم بنت لَلا كانت تحفظ القاموس المحيط عن ظهر قلب حفظته مادةً مادةً، عندما كان أبوها يرسلها إلى خيمة جاره لكي تبحث له عن معنى كلمة".^{١٤٨}

وكان بعض النساء عندهم يحفظن موطأ الإمام مال.^{١٤٩}

فلله در أمة مُجَدِّ على ما منحهم الله من فضائل ومواهب وشيم إنه هو المعطي الوهاب.

^{١٤٦} - فقه العصر ١٣٠ .

^{١٤٧} - فقه العصر ١٢٤ .

^{١٤٨} - فقه العصر ١٢٠ .

^{١٤٩} - فقه العصر ١٢٢ .

وبعد هذا العرض لهذه المهارة عند القدماء والمحدثين، لابد أن يتساءل المرء:

- هل أهل التراجم كانوا يتسامحون في استعمال لفظة (الحفظ) ومشتقاتها؟

- هل أطلقوها والمراد منها القراءة أو الفهم فقط؟

فالحق أقول: إني وجدتهم دقيقين جداً في وصف من يترجمون له، فهذا هو الذهبي نقل عن ابن نجار قوله في تاج الدين الكندي:

"أظنه يحفظ كتاب سيبويه." ١٥٠

وها هو أيضاً السيوطي حين ترجم لمحمد بن علي المعروف بالشريف، نقل عن أبي حيان في النضار ما يدل على أنهم يميزون بين من يدرس ويفتش ومن يحفظ، قال أبو حيان:

"كان بمُراكش يدرِّسُ كتاب سيبويه والفقهِ والحديث ويميل إلى الاجتهاد، وله مشاركة في الأصول والكلام والمنطق والحساب "وأضاف قائلاً": ويغلب عليه البحث لا الحفظ، مات عام اثنين وثمانين وستمائة." ١٥١

ومن ذلك أيضاً قول السيوطي في ترجمة مُحمَّد بن علي السلافي النحوي الأديب: " كانت له شهرة بمُراكش وكان يقرأ كتاب سيبويه، ومن أحفظ الناس للكامل وغيره من كتب الأدب مات سنة ٦٠٥ هـ." ١٥٢

وذكر السيوطي أيضاً في ترجمة سليمان بن مطروح الحجاري المتوفى سنة ٣٩٠ هـ نقلاً عن ابن عبد الملك ما نصه:

(يكاد يملي) "الغريب المصنف لأبي عبيد وغيره من حفظه" ١٥٣

فقوله) يكاد يملي (يدل على مدى الدقة التي استعملها القوم في وصف من يترجمون له، فهم على إدراك بوجوب التفريق بين الحفظ عن ظهر قلب أو الفهم أو التعليم، وتبدو الدقة واضحة فيما ذكره الشوكاني عن السيد علي بن حسن النعمي قال: " كان يأتي علي أكثر الكشاف غيباً." ١٥٤

١٥٠ -العقد الثمين ١٨٠.

١٥١ -البغية ١٨٢/١ (علي عمر).

١٥٢ - البغية ١٨٤/١ (علي عمر).

١٥٣ - البغية ٥٨٣/١ (علي عمر).

١٥٤ -البدر الطالع ١٦٢/٢ الملحق.

وكان ضياء بن سعد القرمي العفيفي المتوفى سنة ٧٨٠ هـ كما قال السيوطي:
 "يجل الكشاف والحاوي حلاً إليه المنتهى، حتى يظن أنه يحفظهما، وحكي عن عبد الله بن الحسن
 السعدي اليحصبي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ أنه كان يحفظ كتاب سيبويه كحفظه للقرآن عارفاً مع ذلك
 بالقراءات والفقهاء".^{١٥٥}

فانظر كيف استعمل السيوطي (الحفظ) مريداً به الحفظ عن ظهر قلب، مفرقاً بينه وبين معرفة المترجم
 له للفقهاء والقراءات.

كل ذلك يدعونا إلى القول: (إن ما ذكره ليس فيه مبالغة، فهو الحقيقة عينها، والله يعطي الفضل
 لمن يشاء وكيف يشاء وفي أي وقت يشاء).

ورحم الله القائل:

وإذا لم تر الهلال فسلِّمْ *** لأناسٍ رأوه بالأبصار

ولله در من قال أيضاً:

إذا قالت حدام فصدقوها *** فإنَّ القولَ ما قالت حدام

والآن بعد انتهائنا من تقديم هذه الصورة الجميلة الرائعة لأسلافنا العلماء في شتى صنوف المعرفة،

يحق لنا أن نتساءل:

- لماذا بدأت الجامعات العربية تتخلص مفرداتها في أقسامها العلمية المتنوعة عن ذكرها تلك المتون التي يجب أن يحفظها طالب العلم في تخصصه؟

- لماذا لا نجد لها ذكراً بين المهارات مع أن القدماء أشاروا إليها وحثوا عليها؟

قال ابن قتيبة^{١٥٦}: "كان يقال أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس نشره."^{١٥٦}

وقال ابن المبارك^{١٥٧}: "أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العلم ثم الحفظ ثم النشر."^{١٥٧}

لقد أثمر المنهج الذي ساروا عليه ثمراتٍ يانعة، فلماذا لا نتابع المسيرة فنسير على منوالهم ونسلك سبلهم ونهتدي بهديهم، لتبقى علوم حضارتنا العربية شامخةً وضياءً تمدنا بالقوة وتحصننا من هجمات أعدائنا، لنبقى غير قابلين للذوبان والانصهار، نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

^{١٥٦} - عيون الأخبار ٣/١٢٢.

^{١٥٧} - الديباج المذهب ١/٤٠٨.

وإني بعد تطواني مع عباقرة هذه المهارة أخلص إلى رسم الملامح العامة لهذه المهارة على نحو ما بدت لي وهي:

- 1- أن هذه الظاهرة تجلت واضحة عند العرب، لأنهم في الأصل أمة أمية، فكان لا بد من الاعتماد على هذه الموهبة الربانية، ثم رعايتها وتنميتها حتى صارت من خصائص علمائنا وصفاتهم.
- 2- أن ظاهرة الحفظ توزعت على علوم حضارتنا فنجدها في العلوم الشرعية واللغوية، وأحسب أننا لا نعدم هذه الظاهرة عند علمائنا من أهل العلوم التجريبية وابن سينا خير دليل على ذلك.
- 3- أن القدماء رسموا لنا طريق الحفظ ومنهجه فتحدثوا عن دواعيه وأسبابه ووسائله، و سبل الحفاظ عليه وأوقاته، فصارت هذه المهارة جزءاً من طبيعة العلوم التي تطلبها.
- 4- انتبه القدماء إلى وسائل تقوي الحفظ وتمنع نسيانه فلجئوا إلى وسائل كثيرة بعضها أشار إليها الشارع الحكيم، وبعضها يتعلق بنظام غذائي على نحو ما فصلنا.
- 5- أن بعضهم بقيت موهبته نشيطة، وحافظ على مخزونه المحفوظ، فحدث بمحفوظه بعد بلوغه الثمانين سنة.
- 6- أن هناك كتباً فضلاً عن (القرآن الكريم) و (الأحاديث النبوية) الشريفة كُتبت لها القبول عند العلماء فحفظوها عن ظهر قلب منها: كتاب (العين) للخليل.
و(الكتاب) لسبيويه.
و (المجمل) لابن فارس.
و (إصلاح المنطق) لابن السكيت.
و(الفصيح) لثعلب.
و (الجمهرة) لابن دريد.
و (الصحاح) للجوهري.

و (الكشاف) للزمخشري.

و (الجمل) للزجاجي.

و (أشعار هذيل ورؤبة وذو الرمة)

و (ديوان المتنبي)

و (مقامات الحريري)

7- أن بعضهم ظهر حفظه في إملائه وتدريسه كالفراء وابن سيده.

8- اقتصر (دلالة) الحافظ (على الحافظ لكتاب الله ثم على الحافظ لأحاديث الرسول ﷺ، أما أهل اللغة فغلب على الحفظ منهم أن يقال فيه الراوية - والتاء هنا للمبالغة. -

9- أن ما ذكره أهل التراجم في وصف الحفظ هو الواقع المشهود، فليس في هذه الأوصاف مبالغة أو بعد عن الحقيقة.

10- أن الغاية من الحفظ هو ضبط العلم لنشره.

11- أن بعض العلماء لم يكفهم بحفظ كتاب واحد في فن واحد بل تعدى ذلك إلى حفظ عدد من الكتب المتنوعة.

12- لم تكن الغاية من الحفظ، الحفظ عن ظهر قلب بلا إدراك للمعنى، لقد اجتمعت المهارتان الفهم والحفظ عند الحفظ، يؤكد ذلك أن بعض العلماء أملوا محفظاتهم إملاء في مجالسهم العلمية.

وإن كان ثمة وصية نوصي بها فهي أنه يجب علينا أداء للأمانة أن نبين لطلاب العلم أهمية هذه المهارة ونعرفهم عليها بذكر مظاهرها عند قدمائنا، وأن نشجعهم على القيام بها سواء عن طريق المكافآت المادية أو المعنوية، وإني لأحبي وأشكر بعض الجمعيات العلمية التي لها صلة بوزارة الأوقاف، لاهتمامها حتى الآن بهذه المهارة، لقد قرأت كثيراً على أبواب المساجد الإعلانات التي تحتوي على

بعض الدروس الشرعية متضمنة حفظ المتون أيضاً، في الوقت الذي بدت هذه المهارة تنحسر في الجامعات وتخلو منها مفردات المناهج.

أسأل الله أن يهب هذه المهارة طلبة العلم، وأن يحرصوا عليها لئلا تصير من المهارات المنسية. فهي مهارة يحق لنا أن نفتخر بها، وأن تكون رمزاً من رموز معالمنا الحضارية، وقمراً مضيئاً في سماء تاريخنا العظيم، رحم الله أبا حاتم السجستاني حين قال:

أبرزوا وجهك الجم *** يلّ ولاموا من افتتن

لو أرادوا صياني *** ستروا وجهك الحسن

نعم، يحق لنا أن نكشف عن مآثر الأجداد وشمائل الآباء وفضائل العلماء عملاً بقوله تعالى :
(وأما بنعمة ربك فحدث.)

فأحفادنا سيستضيئون بأنوار هؤلاء، وسيهتدون بهديهم، والأمم القوية هي التي لا يغيب عن بالها شمس علمائها المشرقة، وأقمار رجالاتها المضيئة.

وأخيراً:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجمع

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

المصادر والمراجع:

- 1- الأنيس في الوحدة للشيخ مُجَّد أديب كلكل نشر مكتبة دار الدعوة حماة - الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- 2- أيها الولد، والقواعد العشر، للغزالي، نشر وتحقيق مُجَّد أديب كلكل - مكتبة دار الدعوة حماة، سورية.
- 3- إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، تصحيح علي مُجَّد الطباع، دار الندوة الجديدة بيروت - لبنان، نسخة مصورة عن طبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر - ١٣٥٩ هـ.
- 4- الإتيقان للسيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد، بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- 5- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض.
- 6- البدر الطالع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- 7- بستان العارفين للسمرقندي مع تنبيه الغافلين، الناشر دار الكتاب العربي - الطبعة الثامنة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- 8- بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية صيدا - لبنان وطبعة أخرى بتحقيق علي مُجَّد عمر - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- 9- تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، لبنان - ١٣٩٩ هـ.
- 10- تاريخ العلماء النحويين، للتنوخي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، مطبوعات جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- 11- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، تحقيق مُجَّد الحجار، الطبعة الأولى، دار الصابوني.
- 12- ترتيب العلوم للمرعشلي المشهور بساجقلي زاده، دراسة مُجَّد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- 13- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي ومشاركه، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

- 14- الديباج المذهب، لابن فرحون، تحقيق الدكتور مُجَّد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة.
- 15- روح المعاني للآلوسي، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ ١٩٨٧ م.
- 16- شذرات الذهب لابن العماد، تحقيق مصطفى عبد القادر العطا، التوزيع دار الباز بمكة المكرمة.
- 17- الطب النبوي، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
- 18- العقد الثمين في تراجم النحويين للذهبي، تحقيق الدكتور يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة.
- 19- العقد الفريد لابن عبد ربه، شرح إبراهيم الأبياري، تقديم الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان.
- 20- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيد القيرواني، القاهرة ١٩٢٥.
- 21- عيون الأخبار لابن قتيبة، دار الكتاب العربي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م.
- 22- فقه العصر، للشيخ مُجَّد الحسن الددو، محاورة الدكتور عادل باناعمة، الطبعة الأولى، مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع جدة، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٠ م.
- 23- الفقه المبسط، لمحمد أديب كلكل، الطبعة الخامسة، توزيع المكتبة العربية، حماة، سوريا ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
- 24- الفهرست لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- 25- القاموس المحيط للفيروز أبادي الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م.
- 26- الكامل للمبرد، دار الفكر للطباعة للنشر، بيروت لبنان.
- 27- لزوم ما لا يلزم، للمعري، عمر أبو النصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م، مطبعة النجوى، بيروت، لبنان.
- 28- المزهري، للسيوطي، تحقيق مُجَّد أحمد جاد المولى وزملائه، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده.
- 29- المستطرف من كل فن مستظرف، للأبشيهي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.

المحتويات

١ المقدمة
١٢ وسائل الحفظ وطرقه
٢٠ اوقات الحفظ والمذاكرة
٢٢ مظاهر مهارة الحفظ عند القدماء والمحدثين
٤٢ الملامح العامة لمهارة الحفظ
٤٥ المصدر والمراجع